



هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي الدمشقي الشافعي.

ولد بقرية "مجدل" من أعمال بصرى، وهي قرية أمه، سنة سبعينات الهجرة أو بعدها بقليل.

نشأته:

نشأ الحافظ ابن كثير في بيت علم ودين، فأبواه عمر بن حفص بن كثير أخذ عن النواوي والغزارى وكان خطيب قريته، وتوفي أبوه وعمره ثلاث سنوات أو نحوها، وانتقلت الأسرة بعد موته والد ابن كثير إلى دمشق في سنة (707هـ)، وخلف والده أخوه عبد الوهاب، فقد بذل جهداً كبيراً في رعاية هذه الأسرة بعد فقدانها لوالدها، عنه يقول الحافظ ابن كثير: "وقد كان لنا شقيقاً، وبين رفيقاً شفوقاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة (750هـ) فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله منه ما تيسر، وسهل منه ما تعسر".

ثناء العلماء عليه:

كان ابن كثير، - رحمه الله -، من أفتاذ العلماء في عصره، أثني عليه معاصره ومن بعدهم الثناء الجم: فقد قال الحافظ الذهبي في طبقات شيوخه: "وسمعت مع الفقيه المفتى المحدث، ذي الفضائل، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الشافعي.. سمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، له عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وناظر وصنف وفسر وتقى".

وقال عنه أيضاً في المعجم المختص: "الإمام المفتى المحدث البارع، فقيه متقن، محدث متقن، مفسر نقال".
وقال تلميذه الحافظ أبو المحاسن الحسيني: "صاهر شيخنا أبا الحاج المزي فأكثر، وأفتى ودرس وناظر، وبرع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل".

وقال العلامة ابن ناصر الدين: "الشيخ الإمام العلامة الحافظ عماد الدين، ثقة المحدثين، عمدة المؤرخين، علم المفسرين".
وقال ابن تغري بردي: "لازم الاشتغال، ودأب وحصل وكتب وأفتى ودرس في الفقه والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك، وأفتى

ودرس إلى أن توفي".

وقال ابن حجر العسقلاني: "كان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع الناس بها بعد وفاته".

وقال العيني: "كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنف، ودرس، وحدث، وألف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه رياضة علم التاريخ والحديث والتفسير ولو مصنفات عديدة مفيدة".

وقال تلميذه ابن حجي: "أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصححها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفقه والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيها جيد الفهم، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، ونظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة تردي إليه إلا واستفدت منه".

وقال الداودي: "أقبل على حفظ المتنون، ومعرفة الأسانيد والتلعل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو شاب".
وفاته ورثاؤه:

في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعيناً توفي الحافظ ابن كثير بدمشق، ودفن بمقدمة الصوفية عند شيخه ابن تيمية - رحمه الله -. .

وقد ذكر ابن ناصر الدين أنه "كانت له جنازة حافلة مشهودة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقدمة الصوفية".

وقد قيل في رثائه - رحمه الله - :

لفقد طلاب العلوم تأسفوا *** وجادوا بدمع لا يبكي غزير
ولو مزجو ما المدامع بالدما *** لكان قليلاً فيك يا ابن كثير

انتهى بتصرف من مقدمة التفسير لسامي بن محمد بن عبد الرحمن بن سلامة.

المصدر: منتديات الدرر الشامية

المصادر: